سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ ٣

المنهج الشرعي

في التعامل مع الفتن

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز العنقري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

العقيدة

المنهج الشرعي

في التعامل مع الفتن

alanqri drangari

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

٣

المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن

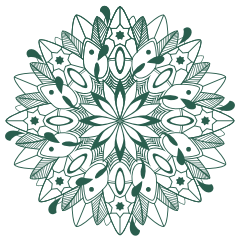

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّى اَلله وسلَّم وبارك على عَبدِهِ وَرسُوله نَبِينَا مُحمَّد، وَعلَى آله وَصحبِه أَجمعِين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن الله سبحانه وتعالى شاء وله الحكمة البالغة أن يختبر عباده بأنواع من الاختبار، وبيّن أنه سبحانه وتعالى جعل هذه الدار، دار امتحان وابتلاء، يبلو عباده فتظهر نتيجة هذا البلاء وهذا الامتحان، في ذلك اليوم العظيم الذي يجمعهم الله عز وجل فيه، ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود:١٠٣] .

وقد أرسل الله عَزَّوَجَلَّ نبيًا كريمًا، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجعل الأمة على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك صلوات الله وسلامه عليه، وقد تواردت النصوص كثيرًا جدًّا عن أمر الفتن، واتضح من النصوص أنها تكثر وتتفاقم وتعظم في آخر الزمان، ويظهر لها دعاة، وتشتبه على كثير من الناس، مع أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يمت حتى جعل الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها، وهذا يدل دلالة واضحة على أن أمر الفتن إنما يقع الناس فيه لأحد سببين:

- **السبب الأول:** إما جهل بأمر النصوص.
- **السبب الثاني:** وإما هوى حمل على عناد النصوص، والضرب بها عرض الحائط، وإتيان أمور الفتن بأنواع من التأويلات الفارغة؛ وذلك وقع قديمًا وحديثا، وسبَّب شيئًا عظيما من الإرباك، وشيئا هائلًا من البلايا التي أثرت أبلغ التأثير في أمة الإسلام؛ وذلك ما بإذن الله عَزَّوَجَلَّ سنعرض له في هذه الكلمات التي هي إبراء للذمة، وبيان لحقيقة الحال، وليكون المؤمنون على بصيرة من أمور الفتن، في زمن قلّ فيه الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ، والجهر بكلمة الحق، وإظهار ما ينبغي أن يظهر في مثل هذه الأمور؛

وذلك في ضوء إعلام عبث به العابثون، وتسلطوا من خلاله على إضاعة الحقائق، وعرض الأمور على خلاف ما يجب أن تعرض عليه، في كتاب الله وفي سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا الوضع لا شك أنه وضع يجب على أهل العلم أن يزيلوه، أو يخففوه قدر ما يستطيعون، وأن يحرصوا أهم ما يحرصون على البيان، وعلى الإبلاغ، ثم إن الهداية بيد الله عَزَّوَجَلَّ، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢]، وهذا الموضوع التي سنتولاه أحب أن أعرض له من خلال فقرات محددة، أولى هذه الفترات:

أن المقصود بهذه الكلمة بيان منهج أهل السنة في باب الفتن لا التعليق على الأخبار، ولا ذكر تحليلات إخبارية؛ إنما المراد ذكر المنهج الذي ينبغي أن نكون عليه في التعامل مع هذه الفتن، وذلك أمر نحتاجه في جميع الأوقات، وفي جميع المواضع، وفي جميع المناسبات حينما ترد الفتن.

أما الأخبار والأحوال؛ فإنها تتغير وتتقلب، فإذا كان عند المؤمن منهج واضح في التعامل مع الفتن؛ فإنه حين تقع الفتنة في أي وقت، أو في أي مكان يكون فيها على بصيرة، وذلك ما أوجبه الله عَزَّوَجَلَّ على أهل العلم أن يبينوا ما ينبغي أن يبين للناس.

❍ **الأمر الثاني:** فيما يتعلق بمعنى الفتنة، الفتنة في أصلها تعني: الامتحان، وكثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ولها معان أخر.

❍ **الأمر الثالث:** في أحوال الناس في الفتنة، الناس في الفتن أنواع بحسب ما جعل الله لهم من العلم والتقى؛ فمنهم المبعِد لنفسه النائي عنها، لا يشارك فيها بقول ولا بسيف؛ لأنها فتنة، ومنهم المشترك فيها، الواقع فيها، ثم هؤلاء المشتركون أنواع، ليسوا على حال واحد من الاشتراك.

وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك بقوله -كما في الصحيحين-: «**تَكُونُ فِتْنَةٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالماشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْ لَهُ، وَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»، ورواه مسلم بلفظ:«**تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَسْتَعِذْ**».

وروى أبو داود وأحمد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ**

الماشِي، والماشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: **كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ**»؛ أي: الزموا بيوتكم، والحلس: هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القَتَب، شبهها به للزومها ودوامها، من هذا الحديث العظيم -بهذه الألفاظ- يتبين أن الناس في الفتنة بين نائم فيها وبين قاعد، وبين قائم فيها قياما، وبين ماشٍ فيها مشيًا، وبين ساعٍ يبذل فيها أكثر مما يبذله غيره.

ولهذا ترجم العلماء رحمهم الله على هذا الحديث بما يبين المراد منه، فترجم أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «**باب النهي عن السعي في الفتنة**»، وترجم الآجري بقوله: «**باب فضل القعود في الفتنة**».

❍ **الأمر الرابع**: في صفات الفتنة في النصوص، جاءت النصوص بوصف محدد للفتن، منها -عياذا بالله- أنها تتفاقم وتزداد وتكثر وتعظم، روى مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ**»، فمن خلال هذا الحديث يتضح أن الفتن -نسأل الله العافية- تتفاقم، حتى إن بعضها يرقِّق بعضا، وذلك يعني أن الفتنة الأولى تكون كبيرة؛ لكن يعقبها فتنة أعظم منها، فترق الأولى مع أنها شديدة بالنسبة للثانية.

❍ **من صفات الفتن التي جاءت بها النصوص**: شدة اشتباهها، وكونها مظلمة لا يتضح فيها وجه الصواب عند كثير من الناس، روى حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديثه المشهور الذي أصله في الصحيح، ورواه أحمد وأبو داود بلفظ: «**أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر الفتن ومراحلها التي تمر بها قال: قال في آخره: «فتنة عمياء صماء، عليها دعاة على أبواب النار، فإن تمت يا حذيفة وأنت عاضٌّ على جِذْلٍ خير لك من أن تتبع أحدا منهم»**، **والجِذْلُ**: هو أصل الشجرة، نقل صاحب عون المعبود لشرحه لأبي داود: أن المراد بكون الفتنة عمياء صماء: أن تكون بحيث لا يرى منها مخرج عياذًا بالله، ولا يوجد دونها مستغاث، أو أن يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة، فيعمون فيها، ويُصمُّون عن تأمل الحق واستماع النصح.

❍ **من صفات الفتن التي وردت بها النصوص -الوصف الثالث-**: أن التعرض لها يوقع صاحبه في الورطة بالدخول فيها؛ لهذا تقدم الحديث «**مَنْ اسْتَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْهُ**»، معناه: أن من تطلع إلى الفتنة وتعرض لها وقع فيها، كما ذكر صاحب النهاية في غريب الحديث.

❍ **الأمر الخامس:** إلى أي شيء أرشدتنا النصوص، وأرشدنا السلف الصالح رضي الله عنهم عند وقوع الفتن، من فضل الله ومنته أن النصوص كما تأتي مبينة تغير الأحوال، وشدة وخطب آخر الزمان؛ فإن من فضل الله عزوجل ومن نعمته البالغة، ومن رحمته بأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن بينت النصوص المخارج الجلية الواضحة المبنية على العلم النافع لا على الهوى، وعلي التخرص والظنون، فأرشدتنا النصوص في أمر الفتن إلى أمور:

❍ **منها أولا:** الفرار من الفتن، وعدم التعرض لها أو الاشتراك فيها، في الحديث السابق أن الفتن «**مَنْ اسْتَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْهُ**»، وذلك يفيد التحذير من التعرض لها، ويعني أيضا: الفرار منها، إذا كان استشراقك للفتنة وتعرضك لها يجعلك تقع فيها؛ فإن البعد عنها طريق للسلامة منها؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في شأن الدجال -والدجال كما في الحديث الصحيح هو أعظم فتنة منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة، ما جعل الله منذ خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أشد من الدجال-: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**»، كما في المسند، فلينأ عنه أي: فليبعد عنه، لا تأت إليه، تبعد عنه، وهكذا بقية الفتن، وقال صلى الله عليه وسلم -كما في الصحيحين-: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**»، هذا هو الشاهد، هذا الرجل لا همة له في الأغنام، وليس مقصده التجارة بها، لكنه صار يتبع شعف الجبال العالية، ويتبع مواقع القطر والمطر لماذا؟ يفر بدينه من الفتن؛ لأن دينه أعظم ما يملك، أعظم من روحه التي بين جنبيه، فيفر به من الفتن، فهذا العلاج الأول.

❍ **العلاج الثاني:** كف اللسان عن الدخول في الفتن، روى ابن أبي شيبة وأبو داود وابن ماجة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في شأن الفتنة: «**اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ**»، تأمل هذا الحديث العظيم: «**اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ**»، ولهذا ترجم ابن أبي شيبة على الحديث بقوله -وعلى عدد من الأحاديث أيضا-: «من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها»، وترجم أبو داود بقوله: «باب في كف اللسان»، وترجم ابن ماجة بقوله: «باب كف اللسان في الفتنة»، سبب الأمر بكف اللسان: أن اللسان في أحيان كثيرة يثير الناس، ويحرض بعضهم على بعض، ويشجعهم على الوقوع في أشد أنواع الولوج في الفتنة، بدلًا من أن يطفئها، ويسعى في تخفيف نارها، ويحرض إخوانه على تقوى الله، يدخل فيها، ويشجع، وربما جعل في ذلك شعرًا، وربما جعل في ذلك مقالات دبَّجها ورفع بها صوته، وحرض الناس

عليها، فأدى ذلك إلى دخول الناس في الفتنة، وتشجيعهم على الولوج فيها، ويتسبب هذا في سفك دماء كثيرة، ويُسأل هذا الذي تسبب وهو في أبعد موضع عن الفتنة عن دماء ما قتلها، ما قتل أصحابًا، ما أزهق أرواحًا، ولا أطلق رصاصًا، ولكنه بلسانه هذا، كما في الحديث: «**اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ**»؛ لأنه يثيرها، ويجعلها تتفاقم، ويحرض الناس على الولوج فيها، ولهذا جاء عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه رأى خطباء الفتنة، قال: مر بقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم قرضا -عياذا بالله- -تقطيع نسأل الله العافية والسلامة- رآهم لما أسري به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مر بقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم، كلما قرضت عادت؛ لأن هذا عذاب القبور -نسأل الله العافية- يستمر، لو قرض لسان إنسان وقُطِّع لنزف حتى يموت، أما في القبور فالعذاب مستديم، نسأل الله العافية والسلامة، إلا لمن رَحِمَهُ اللَّهُ، ومنهم هؤلاء الخطباء الذين يخطبون في الفتن، يحرضون الناس عليها، قال: مر بقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم، كلما قرضت عادت، قال: «**هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ الفِتْنَةِ**»، نسأل الله العافية والسلامة.

❍ **مما أرشدت إليه النصوص أيضا:** كف اليد؛ فإنك إذا أمرت أن تكف لسانك، فكفُّك ليدك من باب أولى، روى أحمد في المسند عن أُهْبان بن صيفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد إليه -أي: أوصاه- إذا كانت فتنة بين المسلمين أن أتخذ سيفا من خشب، وفي لفظ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ وَفُرْقَةٌ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَاكْسِرْ سَيْفَكَ، وَاتَّخِذْ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ**»، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقد وقعت الفتنة والفرقة وكسرت سيفي، واتخذت سيفا من خشب، وكان قد جعل سيفا من خشب عمدا تطبيقا لهذا الحديث، ويعلم الجميع أن سيف الخشب لا يمكن أن يدخل به أحد في قتال؛ لأن الناس معهم سيوف الحديد التي تفرق الهام، وسيف الخشب ماذا يفعل؟ المقصود أنه يتخذ سيفا من خشب، أي: حتى لا يدخل في القتال؛ ولذا قال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كما في المسند- لما اعتزل القتال الذي وقع بين المسلمين، جاءه ابنه عامر، في بعض الروايات: أن عامرا قال: يا أبت الناس يختصمون في الملك وأنت كالأعرابي في غنمك -لأن سعدًا أخذ بعض الأغنام وخرج بها وبدا، وخرج خارج المدينة- فقال سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أول ما رآه-: أعوذ بالله من شر هذا الراكب؛ لأنه تفرس فيه أنه سيحرضه على الدخول في الفتنة، في لفظ المسند أنه قال: أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسًا، لا والله حتى أعطى سيفا إذا ضربت به مؤمنا نَبَا عنه، وان ضربت به كافرا قتله، وهذا مستحيل؛ لأن السيف لا يعرف الكافر من المسلم، يقول: أنا لا أدخل فيها إلا إذا وجد هذا

السيف، الذي إذا ضربت به المسلم صار خشبة لا تقتله، وإذا ضربت به الكافر صار حديدا كأصله يقتل، ثم قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ الغَنِيَّ الخَفِيَّ التَّقِيَّ**»، انتهى الحديث، لتقواه اعتزل، وخاف على نفسه من الدخول في الفتنة.

❍ **مما أرشدت إليه النصوص علاجًا لأمر الفتنة:** عدم التعجل، والتروي والتثبت والتؤدة، وعدم الطيش والاستعجال في أمر الفتن، فإن الإنسان لو أتاه أمر من أمور دنياه من بيع أو شراء؛ لتروى ونظر إلى أحسن السلع، ونظر إلى أحسن العروض، فكيف بأمر الفتن؟ يستعجل ويطيش الإنسان فيها كما سيأتي، فجاءت توجيهات السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالتروي والتثبت وعدم الاستعجال؛ ولهذا روى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «إنها ستكون هَنَّات وأمور مشبَّهات، فعليك بالتؤدة، فتكون تابعًا في الخير خيرا من أن تكون رأسا في الشر»؛ أي: عليك بالتؤدة: الترفق والتأني، لا تستعجل، هذا لن يجعلك من الزعماء الرؤساء الذين يبرزون في الفتن، يقول: هذا خير لك أن تكون تابعا في الخير أحسن من أن تكون رأسا مميَّزا في الشر والفتنة؛ ولهذا كان من تراجم ابن ماجة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الفتن: «باب التثبت في الفتنة»، وروى البخاري في كتاب الفتن من صحيحه، في باب الفتنة التي تموج كموج البحر، عن خلف بن حوشب: أنهم كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن:

الحـرب أول مـا تكـون فـتـيَّـةً ... تسعى بزينتهـا لكـل جَهُـول

حتى إذا اشتعلت وشَبَّ ضِـرَامُهَا ... وَلَّـتْ عَجُوزًا غَيرَ ذَاتِ حَلِيـمِ

شَمْطَـاءَ يُنْكَـرُ لَوْنُـهَـا وَتَغَيَّـرَتْ ... مَكْـروهـةٌ للشَّـمِّ والتقـبـيل

❍ **مرادهم بالتمثل بهذه الأبيات:** أن النفوس في أول ما ترد الفتن تجد أنها شغوفة مستعجلة إلى الدخول فيها، ولهذا يحرص الناس كثيرا على أمر الحرب والقتال، والدخول في الفتنة، وعدم البحث عن علاج أخف من هذا، ولهذا شبهوه بأبيات امرئ القيس هذه.

الحرب أول ما تكون فتيَّةً؛ أي: كالشابة الفتية التي يرغب فيها.

تسعى بزينتها لمن؟ لكل جهول، للجهال.

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها؛ أي: ورئى الناس آثار هذه الفتنة، وما خلفت من قتل وترويع

وخوف.

ولت -تلك الفتاة- عجوزا غير ذات حليم، شمطاء ينكر لونها وتغيرت مكروهة للشم والتقبيل.

❍ **ومن تروي السلف ونظرهم للعواقب والتؤدة والتطبيق لما أمروا به:** ما رواه البخاري في صحيحه، قال: خطب معاوية رضي الله عنه فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليُطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه، يقصد بهذا الأمر: أمر الخلافة، فكان ابن عمر رضي الله عنهما حاضرا، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال: فحللت حَبْوَتِي، وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، يريد أن يقول: إن في الصحابة من هو أحق بالأمر منك، وأقربهم الذين أسلموا قبلك، والدليل على إسلامهم قبلك: أنهم اشتركوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال، واشتركت أنت وأبوك قبل أن يهديكما الله عز وجل إلى الإسلام، فمن أسلم متقدما فله فضل، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠] ، فللسابقين مزية لا شك، يقول: فحللت حبوتي، والحبوة عند العرب: ثوب يعقده الواحد منهم على ساقيه حين ينصبها، ويديره خلف ظهره، بمنزلة اتِّكائك الآن على السارية، يقول: فحللت حبوتي، وكان الواحد منهم يحل حبوته إذا أراد أن يقوم ويتكلم، فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك الدم، ويُحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان، قال حبيبٌ –وهو حبيب بن مسلمة-: حُفظت وعُصمت، تأمل كلام ابن عمر رضي الله عنه، هذا الموقف من معاوية رضي الله عنه وأرضاه، وأجل الله عز وجل، ورفع مقداره في جنات النعيم، أينبغي أن أكون سببا للتكلم فيه، لكن كأنه كان في حال غضب، فقال هذا الكلام؛ فأراد ابن عمر أن يرد عليه بأن هناك من هو أحق بالخلافة منك، لكن خشي من الأمور الثلاثة، وتأمل دقة السلف رضي الله عنهم، نظر ابن عمر للآتي: خشي أن تكون هذه الكلمة سببا في فرقة الجمع؛ إذ إن ابن عمر رضي الله عنهما من خيار الصحابة، إذا ردَّ على معاوية رضي الله عنه فقد ينتصر له أناس، ويقومون في ذلك الموضع الذي تكلم فيه، واللسان يفعل أعظم من وقع السيف، فسكت خشية من تفرق الجماعة، وخشي من أمر آخر يعقب هذا: أن تسفك الدماء بسبب هذه الكلمة؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى فرقة يتبعها حرب وحمل للسلاح، وخشي من أمر ثالث: أن يُحمل كلامه على غير ما أراد، هو لو ردَّ على معاوية في هذا؛ لكان ردُّه عليه من باب واحد، يقول: تذكر أن في الصحابة

من هو أولى منك، ويقف عند هذا، لكنه خشي أن المسألة تحمل على غير هذا، ويأتي من يقول: معنى ذلك: أن معاوية يُطعن في خلافته، مما قد يعزز الفتنة، ويؤدي إلى الخروج عليه.

❍ **ومن تروي السلف وتؤدتهم وعدم عجلتهم وطيشهم في الفتن:** ما رواه ابن سعد: أن مطرف ابن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أتاه الحرورية -وهم الخوارج- يدعونه إلى رأيهم، فقال على سبيل التعليم والتنبيه لهم: يا هؤلاء، إنه لو كانت لي نفسان تابعتكم بإحداهما، وأمسكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هدى -أي: ورأيت عاقبته عند الله- أتبعتها بالأخرى؛ لأن هذا درب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأُزهق نفسي فيه، وإن كانت ضلالة هلكت نفس وبقيت لي نفس، ولكنها نفس واحدة، وأنا أكره أن أغرِّرَ بها، يقول: لا أدخل في هذا الأمر غير الواضح، ولا شك أن أمر الحرورية واضح جدًّا عند مطرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنهم -كما تواردت الأحاديث- كلاب النار، وأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرض على قتلهم، لكنه أراد أن يبين لهم أن إزهاق الأرواح، والدخول في أمور يكون من آثارها سفك الدماء، لا ينبغي أن يكون في الأمور المشتبهة، وإنما يكون في الجهاد الواضح البين؛ ولهذا روى ابن سعد في هذا الموضع أيضا عن مطرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه جاءه ناس يدعونه إلى قتال الحجاج بن يوسف -وهو الأمير الظالم المعروف، وكانوا من أتباع ابن الأشعث الذي خرج على الحجاج-، فلما أكثروا عليه قال: أرأيتم هذا الذي تدعوني إليه هل يزيد على أن يكون جهادا في سبيل الله؟ قالوا: لا، قال: فإني لا أخاطر بين هلكة أقع فيها، وبين فضل أصيبه، يقول: أشد ما يكون، خروجي على الحجاج أحسن أحواله أن يكون جهادا في سبيل الله، هل يمكن أن يكون أكثر من ذلك؟ قالوا: لا، قال: أنا لا أخاطر لا خوفا على نفسي، لكن لأن هذا السبيل -وهو سبيل الخروج على الحجاج- سبيل هلكة، وأنتم تقولون: إنه جهاد، والجهاد هو فضل، وفيه حسنات وأجور، لكن لما تردد الأمر بين الجهاد وبين ضده -وهو الخروج والهلكة-؛ فلن أدخل في هذا الباب رغبة في أن أصيب فضلًا يمكن أن يكون بدلا من هذا الفضل هلكة؛ ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا: لأن آخذ بالثقة في القعود -إذا قعدت في الفتنة فأنت على ثقة بأنك على صواب- أحب إليَّ من أن ألتمس -أو قال: اطلب- فضل الجهاد بالتغرير؛ لأن الجهاد ما يكون بالتخرص والتوقعات، إنما هو درب واضح في سبيل الله، أما إذا اشتبه الأمر، وكان احتمالا أن يكون خروجا؛ لا، أجلس ولا أدخل فيه أصلا.

❍ **ولهذا روى ابن سعد أيضا:** أن مسلم بن يسار رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو من خيار السلف- أكرهه ابن

الأشعث وأجبره على أن يخرج معه، لكنه لما خرج معه جبرا لم يدخل في القتال، ولكنه ذهب معهم فترة، ولم يزهق نفسا، ولم يرم بسهم، فقال متحدثا بما يرى أنه نعمة من نعم الله عليه، قال لأبي قلابة: أحمد إليك الله، إني لم أطعن فيها برمح، ولم أرم فيها بسهم، ولم أضرب فيها بسيف، فقال له أبو قلابة: يا أبا عبد الله، فكيف بمن رآك واقفا في الصف؟ فقال: هذا أبو عبد الله واقف هذا الموقف، ما وقفه إلا وهو على حق، فتقدم هذا –أي: هذا الذي رآك– فقاتل حتى قتل، فبكى وبكى، قال: حتى تمنيت أني لم أكن قلت شيئا، يقول: نعم أنا لم أدخل في القتال، لكن يمكن أن هناك من اقتدى بي وقال: هذا فقيه البلد، دخل في هذا الموضوع، وها هو الآن خارج معنا، فذلك يدل على صحة القتال، مع أنه لم يدخل في القتال، لكنه خشي من أن يكون هناك من ائتسى به فقاتل بسبب أنه رآه، هذا مجمل –يا إخوة– ما يقال في هذا الموضوع على سبيل العجلة، باستعراض للنصوص، والنصوص كثيرة جدًّا، لكني آثرت أن أذكر جملة منها فيها غنية– بإذن الله–، لمن أراد التبصر والبيان في هذا الأمر العظيم، فتأتي الفقرة المتعلقة بنا نحن اليوم، أين نحن من هذا الهدي العظيم الذي تقدم في النصوص وفي كلام السلف رضي الله عنهم؟ نعود إلى ما قلناه في الفقرات السابقة:

❍ **أولا**: أحوال الناس في الفتنة، تقدم أن الناس في الفتنة بين نائم فيها، وقاعد فيها، وقائم، وماش، وساع، ما حال الناس اليوم؟ لا ريب أن كثيرين جدًّا يدخلون في الفتن، وكثير منهم –أيضا– يثيرها؛ إما بلسانه الذي تقدم أنه أشد من وقع السيف، وهذا جلي بالذات في وسائل الإعلام، التي صارت تحرض على الفتن كثيرًا، وتتسبب فيها، وتحرص على نوع من التحليلات، وعلي نوعية من الضيوف معينين، يهيجون الناس، ويثيرون بعضهم على بعض، همتهم وغرضهم أن تشتعل هذه البلدان، هذا هو مقصدهم، والدليل على ذلك هذه الحماسة العظيمة فيهم، والسعي الدؤوب لأن تشتعل، ولهذا تلاحظ أنهم يريدون أن يعم هذا الأمر جميع البلاد، يريدون أن تعم الفتنة الجميع، وأن لا يبقى موضع إلا وقد دخلته، فأمر اللسان أمر خطير، والمشتركون فيه كثير بلا ريب، ومن أنواع الاشتراك في الفتنة في واقع اليوم: الاشتراك بالفعل والمباشرة، والسعي الحثيث الذي بيَّن عليه الصلاة والسلام أن الناس فيه على تلك المراتب، لهذا حق على كثير من الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنة: «**مَنْ اسْتَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْهُ**»، فتطلعوا لها، واشتركوا فيها، فوقعوا فيها، ويلقون الله مفتونين، يكتبون في القيامة في المفتونين، والداخلين في الفتن، ويلقون الله على هذا الحال، نسأل الله العافية.

❍ **من أخطر ما في الموضوع على الإطلاق:** أن يشترك أحد من أهل العلم في تهييج الناس وتحريضهم، وإصدار فتوى تشوش الناس على بعضهم، وتحرضهم على سفك الدماء، وتحرضهم على التدمير؛ لأن الناس إذا رأوا هذا المقتدى به يفتيهم؛ فإنهم يكونون على حال من الاطمئنان الشديد بأن ما هم فيه ما هو إلا نوع من أنواع الجهاد، وأنهم يتقربون إلى الله بهذا الذي هم فيه مفتونون، ولهذا جاء في الحديث: «**أَنَّ مَنْ أَفْتَى بِفَتْوَى عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ فَالإِثْمُ عَلَى مَنْ أَفْتَى**»، فإذا أفتيت إنسانا بقتل إنسان فقتله؛ فقد اشتركت في الإثم؛ لأنك أنت الذي حرضت عليه؛ ولهذا أمر التحريض والسعي في الفتن ظاهرٌ جليٌّ واضحٌ كثيرٌ، كثير من الناس يحرض على الفتنة؛ ولذلك أحوال سنذكرها في الأخير -بإذن الله- عَزَّوَجَلَّ.

❍ **الأمر الثاني في واقع الناس اليوم:** هناك عدد غير قليل من الناس يحبون التغيير، يحبون أن يغير الحال، وأن يبدلوا الحال الموجود السائد إلى حال آخر، ولهذا يتغنون كثيرا بالتغيير، ويهتفون كثيرا مشجعين على التغيير، لكنهم لا يتبصرون في ثلاثة أمور، لا يكون التغيير مشروعا إلا بها، فالتغيير إذا خلا من هذه الأمور الثلاثة؛ فإنه لا يكون مشروعا:

❍ **الأمر الأول:** هل الوسائل المستخدمة في التغيير شرعية أو لا؟!

❍ **الأمر الثاني:** هل الراية المرفوعة لإيجاد التغيير إسلامية أو جاهلية؟!

❍ **الأمر الثالث:** هل عواقب التغيير مأمونة؟!

هذه أمور ثلاثة، أهل البصيرة والعلم والعقل لا يدخلون في أمر التغيير إلا من خلال تأملها؛ فإن سقط واحد منها؛ فالتغيير شر محض.

وأعيدها مرة أخرى: نقول: التغيير لا يكون مشروعا إلا إذا لاحظ من يريد التغيير أمورًا ثلاثة:

❍ **الأمر الأول:** هل وسائل التغيير مشروعة؟ الوسائل التي تستخدمها في تغييرك مشروعة أو غير مشروعة؟

❍ **الأمر الثاني:** الراية التي ترفعها ليجتمع الناس حولها فيحدث التغيير، هل هي راية إسلامية أو جاهلية؟

❍ **الأمر الثالث:** إذا تأكدت من الأمرين معا، هل تأملت في أمر العواقب للشروع في التغيير؟ هل

عواقب هذا التغيير مأمونة أو غير مأمونة؟ نتأمل هذه الأمور الثلاثة مربوطة بالنصوص، حتى نكون على بصيرة وعلي علم أيها الإخوة، لا أن نكون منساقين من خلال العواطف، فإن أمر العواطف سهل ميسور، لكن أمر العلم المربوط بالنصوص هذا هو الذي يكون الإنسان فيه إذا لقي الله بإذنه ومنته تعالى على حال من الثقة والسلامة.

❍ **الأمر الأول في وسائل التغيير**: التغيير أيها الإخوة!! ماذا يعني في الشرع؟ يعني باختصار شديد: إنكار المنكر، التغيير شرعا: أي: تغيير المنكر، والدليل على ذلك: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ**»، وذلك أي: أنك إذا أردت أن تغير فإنك تسلك المسلك الذي يجب أن يُسلك في إنكار المنكر، ولهذا جاء عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في ابن ماجة، الحديث السابق في الصحيحين، وفي ابن ماجة أخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنَّهُ مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالمعَاصِي وَهُمْ أَعَزُّ وَأَمْنَعُ، وَلَا يُغَيِّرُونَ؛ إِلَّا عَمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ**»، منكرات ومعاص، التغيير الشرعي أي: أن تنكر، إما باليد، وأما باللسان، وإما بالقلب، على حسب ما فصَّل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيَّن أهل العلم، إذًا فالتغيير الذي نسمعه كثيرًا في وسائل الإعلام إذا كان تغييرًا حقًّا أي: إنكار المنكر، وعلى هذا يجب أن يراعى في التغيير جميع ما يراعى في إنكار المنكر، من الشروط نفسها، والنظر في العواقب، وأن يكون وفق درجات النهي عن المنكر الثلاث المعروفة.

أما إذا استُعملت وسائلُ للتغيير ليست مشروعة؛ فهذا التغيير في نفسه منكر، وإن كان صاحبه يريد أن يغير منكرًا؛ فلا يغير المنكر بمنكر، المنكر لا يغير إلا بالأسلوب الشرعي؛ ولهذا ذكر أهل العلم في شروط تغيير المنكر: أن لا يؤدي إنكار المنكر إلى منكر أشد منه؛ لأنه إذا أدى إلى منكر أشد منه؛ فذلك يعني أن تغييره سيفاقمه، ستتفاقم الأمور، والمقصود بتغيير المنكر: أن يزول أو يخف، لا أن يزداد ويضطرم.

فالحاصل أن أمر التغيير يجب أن يكون بالأسلوب الشرعي؛ فإن غُيِّر بأسلوب غير شرعي؛ فذلك التغيير منكر؛ ولهذا روى الآجري: أن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قيل له: خرج خارجي بالخريبة -وهي محلة في البصرة-، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المسكين رأى منكرا فأنكره، فوقع فيما هو أنكر منه»، هذا الخارجي رأى منكرات، فأتى إلى هذه المنكرات ليغيرها، وربما كان قصده طيبا صالحا، لكن لا بُدَّ أن تكون وسيلة

التغيير شرعية، وإلا فقد توجد نوايا طيبة، ومقاصد صحيحة وسليمة لأناس يريدون أن يزيلوا هذا المنكر، فيقال: لا تزيلوه إلا بالأسلوب الشرعي؛ ولهذا قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الخارجي: مسكين، وذلك يدل على ضعف عقل هذا الخارجي، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيهم: «**حُدَثَاءُ الأَسْنَانَ سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ**»، رأى منكرا فأنكره فوقع فيما هو أنكر منه.

❍ **الأمر الثاني: أيها الإخوة!!** راية التغيير التي ترفع ما هي؟ هل هي إسلامية على منهج محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلي منهج أصحابه وسلف الأمة؟ أم هي راية جاهلية؟ إذا كانت الراية التي ترفع ليجتمع الناس عليها ليست راية الإسلام؛ فهي -باختصار شديد- راية جاهلية أيا كانت هذه الدعوة، وإلى أي شيء انتمت، وإلى أي وجهة اعتزى أصحابها، لا تكن راية إسلامية إلا في حال اتباع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه والسلف، فإن كان الأمر على خلاف ذلك؛ فهي جاهلية، وإن رغم أنف من لا يريد؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث الصحيح، الذي رواه مسلم في كتاب الإمارة: «**مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ، وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي**»، هذه الراية العِمِّيَّة، وفي لفظ -عياذا بالله-: «**فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّة**»؛ أي: أنه إذا قُتل فليس في سبيل الله، وإنما قتل قتلة جاهلية، نسأل الله العافية والسلامة.

❁ ما معنى الراية العِمِّيَّة؟!

العِمِّيَّة -كما في النهاية لابن الأثير-: من العَماء وهي الضلالة، كالقتال في العصبية والأهواء، واقع الفتن ما هو اليوم أيها الإخوة؟ الرايات المرفوعة في كثير من الأحيان لا ذكر فيها للإسلام أصلا، لا يذكر الإسلام نهائيًا في رايات التغيير في كثير من الأحيان.

❍ **الأمر الآخر: الأهداف المعلنة لا الخفية**: الأهداف المعلنة التي يصرح بها كثير ممن يريدون التغيير لا تتحدث عن إقامة دين الله، ولا عن إحقاق حق وفق شرع الله، أو إبطال باطل أبطلته النصوص، بل تركز في كثير من الأحيان على أمور دنيوية محضة، وكأنَّ -سبحان الله- لم نخلق إلا للدنيا، وكأن منكر الدين أمر يرمى به خلف الظهور، وإنما ينظر إلى أمر المآكل والمشارب فقط، أما أمر الدين، وما يعصى الله -عز وجل- به ويجاهر ليلا ونهارا، سرا وجهارا، فهذا لا يحرك في كثير منهم ساكنا؛ ولهذا لا يتحدثون عنه، لا في أهداف خفية؛ بل -والله- في معلنة.

❁ ماذا تريدون من التغيير؟!

استمع إلى ما يقولون في التغيير، ولا أعمم، لا شك أني لا أعمم؛ ولهذا أنا ملازم لكلمة: كثير من الأحياء، وملازم لكلمة: كثيرين من الناس؛ حتى لا أعمم الكلام، وعلى هذا؛ فمن رفع مثل هذه الرايات؛ فقد رفع راية جاهلية، لا يجوز أن يدعو إليها مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلا عن أن يقاتل ويناضل ويجاهد -في زعمه- في سبيله.

❍ **وها هنا أمر مهم جدًّا في التغيير:** في كثير من الأحيان يطالب الناس بتعيين فلان، وتمليك فلان، وأن يتولى زمام الأمور فلان، ويزهقون أرواحهم؛ ليكون هو الحاكم دون غيره، واعلم أن هذا ليس مقصدا مشروعا أبدا؛ لأن الواجب أن يطلب تحقيق أمر الله، لا أن يكون الملك لفلان أو فلان، إذا كان المقصود أن يزاح فلان ويأتي فلان فقط؛ فلا شك أن هذا ليس في سبيل الله؛ لأن الذي في سبيل الله قد بيَّنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، ولنتأمل -يا عباد الله- هذا الحديث العظيم الصحيح، الذي أتمنى أن ينشر في أمة الإسلام اليوم، وأن يترجم لمن لا يعرف العربية، حديث صحيح رواه النسائي وغيره، روى النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعظيم الدم من كتاب السنن، حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي. وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ**»، نسأل الله العافية والسلامة؛ لأن من قاتل ليكون الحاكم فلانا، ولتكون العزة له، فليست العزة إلا لله، ولا يجوز أن يكون هذا هدفا، بينما الأول قاتل قال: «**لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ**»؛ أي: قاتلت لتكون كلمتك هي العليا، أما الثاني فقال: «**لِتَكُونَ الْعِزَّةُ** -ولتكون الغلبة- **لِفُلَانٍ**»، ولهذا روى النسائي هذا الحديث عن جندب بلفظ: «**قَتَلْتُهُ عَلَى مُلْكِ فُلَانٍ**»؛ أي: حتى يكون فلان هو الذي يتولى، قال جندب -بعد أن روى الحديث-: فاتَّقِهَا، أي: اتق أن تدخل في حرب تزهق نفسك، أو نفس غيرك لأجل أن يكون فلان هو الحاكم.

❍ **الأمر الثالث:** إذا تأكدت من الأمرين السابقين، وصارت الراية إسلامية، وكان الغرض منها وجه الله عَزَّوَجَلَّ، واستعملت الوسائل الشرعية للتغيير، فلا بُدَّ من مراعاة أمر ثالث: هل عواقب التغيير مأمونة؟

تقدمت النقول عن السلف في التروي والتثبت في الفتنة، وأذكر بيانا لكون كثير لا يتروَّوْن في في الفتن ما يأتي، حتى تعرف أن هناك من يدخل في الفتن ولا ينظر في عواقب التغيير، أن كثيرا ممن يدخلون في الفتن إنما يدخلون فيها من باب ردة الفعل لإزالة الظلم، بتبني مفاهيم متحررة، وكأن الشرع لا وسط فيه، فبعد أن يظلمهم الحاكم، ويتسلط عليهم سجنا، وتعذيبا، وإزهاقا للأرواح، وأخذا للمال، وسفكا للدماء، ينتقلون إلى طرف مقابل، فيطالبون بحرية مطلقة، لماذا؟ ليزول الظلم، سبحان الله، كأن الشرع لا وسط فيه، إما ظلم محض، وإما فوضى الغرب، لا يوجد وسط في الشرع، تزال به الظلم، وتنهى به البهيمية؛ المسماة بالحرية؛ فلهذا ترفع في كثير من الأحيان رايات الحرية المطلقة، وأن المقصود أن يكون الجميع أحرارا، في ماذا؟ في كل شيء، مَنْ؟ الجميع دون استثناء، والله ليس هذا من شرع الله، لا في قليل ولا كثير، بل الأمر في أمر التغيير يجب أن يكون على وفق الشرع، لا بأن يفتح الباب على المسلمين ليكونوا كالهَمَل الهمج في الغرب وغيره، الذين يعدون الفوضى في الأعراض، والفوضى في الاعتقادات، يعدونها حرية، لا والله، ليست هذه حرية، وليس هذا أسلوبا يزيل الظلم، وردة الفعل الحمقاء ليست هي الطريق لإزالة الباطل، بل الباطل -سواء صدر من حاكم أو من غيره- له أسلوبه الشرعي لإزالته، أو تخفيفه، وليس الأسلوب الصحيح له أن نتجه وجهة مقابلة؛ فنطلب -لنزيل الظلم- أن تفتح الأبواب على مصاريعها للفوضى، هذا هو الأمر الأول الدال على عدم تروي كثيرين، وعدم نظرهم في هل عواقب التغيير مأمونة أم لا؟

❍ **الأمر الثاني:** كثير من الناس يريدون التغيير، لكن لا يتفطنون في العواقب التي يمكن أن تنشأ لو انفلت الأمن، هناك أناس كثيرون لا يردعهم خوف من الله، ولا يتقونه سبحانه وتعالى، هم في غاية التربص والانتظار لأي انفلات أو فوضى؛ ليهجموا سرقة، وسفك لدماء بينهم وبين أناس بينهم تارات قديمة، وبعض منهم يريد -والعياذ بالله- الأعراض والنساء، فإذا انفلت الأمر؛ انفتحت الأبواب الواسعة لهؤلاء المفسدين في الأرض لينهبوا، وليقتلوا من شاؤوا، وليتعرضوا للمحارم، فكثير ممن يطلب التغيير لا يريد هذا وليس لصًّا، وليس زانيا مجرما، لكنه يريد التغيير، ولا يتفطن إلى أن هذا التغيير المتعجرف البعيد عن منهج الشرع يمكن أن يفتح لهؤلاء المفسدين الباب، ثم إنه -والعياذ بالله- قد يفتح ولا يغلق، هؤلاء المجرمون الذين لا يخشون الله قد ينطلقون ويسببون زعزعة حقيقية، يعجز العقلاء لاحقا عن أن يردعوهم؛ لأنهم أهل فوضى وأهل شهوات، وانفتح لهم الباب، فقد يعجز الناس عنهم.

وفي بعض البلدان انفلت الأمن الآن من عشرين سنة، وظل الوضع على ما هو عليه، لا يستطيع كثير منهم أن تمر به ليال متوالية قد نام فيها قرير العين؛ بسبب تغيير هائج سريع أدى إلى انفلات الأمور وضياع الهيبة، مما أدى إلى دخول هؤلاء المفسدين في أرض الله إلى المحارم، وإلى الأموال، وإلى الدماء؛ ولهذا كثر من يتشردون من بلدانهم، بعد أن كانوا في بلدانهم آمنين مطمئنين تشردوا، وصاروا في حال يُرثَى لها؛ ولهذا كثيرون يتذكرون ما كانوا عليه قبل أن تدب الفتن فيهم، فيقولون: ألا ما أحلى الحال السابق الذي كنا فيه، كنا في حال فيه منكرات، وفيه بلايا، لكن بعد أن حصلت الفرقة، وحصلت الفوضى، صرنا في حال أسوأ بكثير منه، ولهذا ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه -كما روى الآجري في الشريعة- أنه قال: ما تكرهون في الفرقة ما تكرهون في الجماعة، خير مما تحبون في الفرقة، ما تكرهون في الجماعة؛ أي: من وقوع بعض المنكرات، هو خير مما تتخيلون أنه سيكون لكم لو وقعت فرقة.

❍ **الأمر الثالث**: الدال على عدم نظر كثيرين للعواقب أن كثيرًا أيها الإخوة!! ممن يتحدثون لإذكاء الفتنة، إنما يحملهم على التحدث أنهم بعيدون عن المكان الذي وقعت فيه الفتنة، فهم غير متضررين، بل يتفرجون من وراء الشاشات مئات الأميال أو آلاف الأميال، يتفرجون على الناس وهم بعيدون، هو بعيد، وأسرته بعيدة، وقرابته بعيدة، فهو يُذْكِي هذه النار، وكأن لسان حاله يقول: أنا غير متضرر؛ ولهذا لو أن لأحدهم أسرة في تلك البلاد، وسمع صوتَ عاقل يدعو إلى التؤدة والتأني؛ لجزَّاه خيرا، وقال: هذا صوت العقل، وهذا -والله- هو الحق، ونحن ينبغي أن نكون إخوة، وأن نكون متحابين، هكذا يقول، لأن النار ستصل إلى أهله، أما إذا كان بعيدا؛ فإنه يحرض، ولهذا ينبغي للمسلمين أن يتعقلوا من هؤلاء الذين يطلُّون عليهم من شاشات بعيدة في أوروبا وأمريكا وفي غيرها، يحرضونهم على الفوضى، فنقول: نحلف بالله غير حانثين، لو أنهم في حَمْأة هذه الفتنة، اصطلوا بنارها، وقُتل لهم من قُتل، وباتوا لا يستطيعون أن يهجعوا؛ لالتمسوا أسباب السلامة والخلاص، لكنهم يتفرجون، وليس في قلوبهم ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، كَمَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»، لا يشعر بهذا، يتفرجون على إخوانهم يقتلون، وينفلت الأمن وهم يصفقون ويشجعون، عليهم من الله ما يستحقون.

❍ **الأمر الرابع:** الذي يدل على عدم التبصر أن كثيرًا لا ينتبهون إلى استغلال العدو المجرم الكافر للفتن، وتحريكها داخل بلاد المسلمين، إمَّا لإضعاف الأمة ونشر الفوضى والرعب فيها، أو ليتقدم عارضًا مبدئه، وكأنه ينتشلنا ويحل مشاكلنا ويسوِّق لمبدئه الضال، ويقول: عندي ما يخلصكم ويجمعكم، ألا فخذوا مبادئي، وعليكم بما بنيت عليه بلدي، ابنوا بلادكم على مثل ما بُنيت عليه بلاد الفوضى في أوروبا وفي غيرها؛ تسلموا وتهدأ أحوالكم، ويُسمع لأصواتكم، فيسوِّق مبادئه، والناس من شدة سعيهم في التخلص من الفوضى يرخون الآذان لمثل هذه الدعوات، ويقولون: لو أنا عملنا مثل ما عملوا؛ لهدأت بلادنا مثل ما هدأت بلادهم، فيجد العدو المتربص فرصة ليسوِّق مبدئه، ولهذا لا يستبعد أبدا أن تكون بعض الفتن التي تقع في بلاد المسلمين وراءها أعداءهم، يريدون أن يقسروهم قَسْرًا على هذه المبادئ، وهذا يدل -كما قلت، وهو الرابع- على عدم نظر كثير في العواقب.

❍ **الأمر الخامس:** جهل كثيرين ممن يتحدثون في هذه الفتن بأبعادها وأساساتها؛ فإن كثيرا من الناس -أيها الإخوة- في مجالسهم وغيرها إنما يردد ما يسمعه ويراه من تحليلات وسائل الإعلام، وليس على دراية؛ لا شرعية، ولا على دراية بالواقع الذي يتحدث عنه، ومع ذلك يتبنى رأيا، ويشجع جهة، وهو في الحقيقة لا علم شرعي عنده، ولا دراية دقيقة عنده بالأوضاع، وماذا يمكن أن تصل بالناس في تلك البلاد، الذين نساؤها أمهاته وأخواته وبناته، لا بُدَّ من أن يشعر بهذا، ورجالها آباؤه وإخوانه وأبناؤه، إذا شعر بهذا؛ لا يُرخِي أُذْنَهَ لهؤلاء الذين يحرضون، وتكون وسائل الإعلام هي التي تجعل الناس يتبنون هذه الآراء؛ لأنها تستجلب كثيرين ممن راياتهم على أسوأ ما يكون من الرايات، ودعواتهم على أسوأ ما يكون من الدعوات، ثم يبدؤون في طرح ما عندهم، فيتبنى هذا كثير من الجهال الذين لا يعرفون هذه المسائل التي دخلوا فيها.

❍ **الأمر السادس:** عدم رد الأمور إلى من أمر الله أن ترد إليهم، وهم مَنْ؟ أهل العلم، قال الله عَزَّوَجَلَّ في محكم القرآن: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء:٨٣] ، لو رُدَّ الأمر إلى أهل البصيرة والعلم، وإلى أهل الدراية والبصر الشرعي الذين ينظرون النظرة الشرعية إلى النظرة العاطفية، ولا النظرة العلمانية والليبرالية، أو النظرة الحاقدة المتربصة، ينظرون إليها نظر من ينظر إلى إخوانه نظر المشفق الراحم لهم، الذي كأنه في

وسطهم، وإن كان بينه وبينهم آلاف الأميال، أهل العلم هكذا، إذا رُدَّت إليهم الأمور علموها، وبينوا حكم الله فيها، لكن كثيرين لا يردونها إلى أهل العلم، ويردونها -كما قلت- إلى وسائل الإعلام، فيتبنون ما فيها من تحريض وتشجيع على الفساد وعلى الظلم، وعلي انتهاك الأحكام الشرعية، أنت إذا حرضت إنسانا على أخيه؛ فقد اشتركت معه، وقد تقدم أن اللسان يفعل أكثر من السيف، فلنتقي الله عَزَّوَجَلَّ ولنكن على بصيرة.

❍ **وختامًا أقول:** إن كثيرين اليوم يقررون كلامًا غير ما قررناه هنا، عاطفة هائجة، أو حقدًا دفينا على شعوب معينة، يتمنون لها أن تكون في موضع الفُرجة في وسائل الإعلام، وأن تكون من ضمن ما يدخل في ألبومات التصوير للغرب وغيره، يضحكون بهم، ويستخفون بهم، ويقولون: إنهم أمة فوضوية، نحن نعرف أن كثيرين لا يروق لهم هذا، ولكن نقول: إنما قررنا ما قَرَّرَتْه النصوص، ومضى عليه السلف الصالح، الذين ذكرنا جزءا يسيرا قليلا من أقوالهم، فمن رأى أن منهج السلف الصالح غير مناسب للسياسة، أو غيرها؛ فما ذاك إلا لفساد اعتقاده هو، لا لأن منهج السلف فيه إشكال، وانحرافه المنهجي هذا -حين لا يرضخ للحق- هو مثل انحراف أهل البدع، من الجهمية والمعتزلة مثلا حينما يقرر منهج السلف في أسماء الله وصفاته، وهو كغضب الرافضة حين يقرر منهج أهل السنة فيما يتعلق بالصحابة، وكغضب المتميِّعين من الليبراليين وغيرهم، حين يعرض منهج الحق في الجهاد في سبيل الله، وفي أمر الولاء والبراء، ونحن -ولله الحمد- لا نلتمس رضاهم كلهم، ونسأل ربنا أن يجعلنا ممن يلتمس رضاه وحده وإن غضب كل أحد؛ إلا أهل الحق فإن أهل الحق لا يغضبون، أما من كان ينظر ماذا سيكون من آثار كلمته هذه؛ لعلها تغضب وسيلة إعلامية، أو تغضب أناسا طائشين يحرضون على أن يكون النموذج الموجود معمَّمًا في جميع البلاد، فلا أرضاهم الله عنا إلى قيام الساعة، وجمعنا بهم تعالى ليحكم بيننا وهو خير الحاكمين، فإن هذا الأمر على خلاف منهج السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ليعلم ذلك كثير من الناس الذين تحملهم الغيرة، وحب الخير، وحب أن يفشو المعروف ويزول المنكر، يعلم الله ذلك من سويداء قلوبهم، لكن علينا ألا نكتفي بمجرد النية الطيبة، وعلينا أن نتعلم العلم الشرعي، سواء في أمر التقرير لمثل هذه المسائل أو غيرها من الأمور، حتى نكون على بصيرة، أما من كان غرضه أن يرضى عنه فلان أو فلان، أو تلك الوسيلة؛ فغرضه غرض دنيء، وهو لا يقصد الله ولا الدار الآخرة، والواجب عليه أن يحرص على إرضاء الله عَزَّوَجَلَّ، فإن من التمس رضا الله بسخط الناس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضى عنه الناس، ومن

التمس رضا الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، والداهية الدهياء لا في سخط الناس، ولكن في سخط الله عياذًا بالله.

نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين ممن يستمعون الحق فيتبعونه، ولا يقدمون عليه هوى، ونسأله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، نسأله تعالى ألا يجعله علينا ملتبسا فنضل، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يرزقهم العود الحميد الصادق له تبارك وتعالى، وأن يجعل ما وقع لهم من هذه الكروب والمحن سببا في عودة رعيتهم ورعاتهم جميعا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، فالواجب أن يتوب الرعاة والملوك والرؤساء توبة إلى الله صادقة، والواجب أن تتوب الرعية والناس توبة إلى الله صادقة، فإن الله سبحانه وتعالى يكون الناس عنده بأهون حال، وأردأ حال؛ إذا بارزوه بالعصيان، ولا يعبأ بهم سبحانه وتعالى، كما في الحديث الصحيح في «البخاري»: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، لاَ يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً**»؛ فإن الناس إذا لم يكترثوا بأمر الله؛ فإن الله سبحانه لا يكترث بهم، ولا يرفع لهم سبحانه وتعالى راية، نسأل الله أن يجمعنا وإخواننا المسلمين على الهدى، ويحسن لنا العاقبة والخاتمة.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ألقيت هذه المحاضرة في ليلة الثامن والعشرين
من شهر صفر سنة إثنين وثلاثين وأربع مئة وألف
في مسجد النخيل،بحي العريجاء، الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.